الديك الذهبي



تأليف: ألكسندر بوشكين
ترجمة: سهير المصادفة
رسوم: نبيل السنباطي



2016

الدِّيكُ الذَّهبيُّ

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر 2006 تحت إشراف : جابر عصفور
مدير المركز : أنور مغيث

- العـدد : 1902
- الديـك الذهبـي
- ألكسنـدر بـوشكيـن
- سهيـر المصـادفـة
- نبيـــل السنبــاطي
- اللغة الروسية
- الطبعة الأولى : 2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بوشكين / ألكسندر سرجيفتش ، 1799 1837
الديك الذهبي / تأليف : ألكسندر بوشكين؛ترجمة: سهير المصادفة؛
رسوم: نبيل السنباطى
القاهرة المركز القومى للترجمة، 2016
ص، 20سم
أ - القصص الروسية
(أ) المصادفة ، سهير (مترجمة)
(ب) السنبـاطي، نبيـل (رسام)
(جـ) العنوان 891, 73

رقم الإيداع : ٢٠١٢/١٣٧٤٢
الترقيم الدولى: 2-194-216-977-978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

هذه ترجمة كتاب

СКАЗКА
О ЗОЛОТОМ ПЕТУШКЕ
А.С. ПШКИН

شارع الجبلاية بالأوبرا الجزيرة القاهرة ت : 27354524 فاكس 27354526

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira , Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel : 27354524 Fax : 27354554



يُعَدُّ "أَلِكْسَندر سيرجيفِتْش بُوشْكِين" مِنْ أَعْظَمِ شُعَرَاءِ رُوسْيَا، وَيُلَقَّبُ بِأَمِيرِ الشِّعْرِ الرُّوسِيِّ، وَشَاعِرِ رُوسْيَا القَوْمِيِّ الَّذِي أَسْهَمَ إِسْهَامًا ضَخْمًا فِي تَأْسِيسِ اللُّغَةِ الأَدَبِيَّةِ الرُّوسِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، وَهُوَ أَحَدُ أَعْمِدَةِ الأَدَبِ الكِلاسِيكِيِّ فِي العَالَمِ.

حَقَّقَ شُهْرَتَهُ بِسَبَبِ شِعْرِهِ المَلْحَمِيِّ، خصوصًا عَمَلَهُ الطَّوِيلُ "يُوجِين أُونِيجن". كَتَبَ فِي الأَنْوَاعِ الأَدَبِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، فَكَتَبَ القَصَائِدَ الغِنَائِيَّةَ وَمِنْهَا.. " الأَسِيرُ القُوقَازِيُّ"، وَ"النُّورُ"، وَ "الغَجَرُ"، وَ"نَافُورَةُ بَاخِتْشِي سَرَايْ"، وَكَتَبَ القِصَصَ القَصِيرَةَ، وَكَتَبَ المَسْرَحِيَّاتِ الشِّعْرِيَّةَ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا: "مَأْسَاةُ بُورِيس جُودُونُوف".

اتَّجَهَ "بُوشْكِين" إِلَى ثَقَافَةِ الشَّرْقِ العَرَبِيِّ فِي العَدِيدِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ،

وَاسْتَقَى فِي مُؤَلَّفِهِ "روسلان ولودميلا" رُوحَ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَة، حَيْثُ تَحْكِي "شَهْرَزَادُ" عَنْ ذَلِكَ العَالَمِ السِّحْرِيِّ الَّذِي يَخْتَلِطُ فِيهِ الوَاقِعُ بِالْخَيَالِ، وَاتَّجَهَ إِلَى "القُرْآنِ الْكَرِيمِ" فِي "قَبَسَاتٍ مِنَ القُرْآنِ" بَحْثًا عَنِ الْقِيَمِ الأَخْلَاقِيَّةِ. وَلَقَدْ تَأَثَّرَ "بُوشْكِين" كَثِيرًا بِالأُسْلُوبِ الشَّرْقِيِّ فِي الشِّعْرِ، وَبِقَصَصِ الحُبِّ الْعُذْرِيِّ فِي الأَدَبَيْنِ الفَارِسِيِّ وَالْعَرَبِيِّ. بَلْ لَقَدْ بَلَغَ حُبُّهُ لِلتُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ حَدَّ مُحَاوَلَتِهِ تَعَلُّمَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا زَالَتِ الأَوْرَاقُ الَّتِي حَاوَلَ أَنْ يَنْقُشَ عَلَيْهَا حُرُوفَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَحْفُوظَةً فِي مُتْحَفِ "سَان بُطْرُسْبِرْج".

وُلِدَ "بُوشْكِين" فِي مُوسْكُو عَامَ ١٧٩٩، وَكَانَ فِي طُفُولَتِهِ كَثِيرَ الصَّمْتِ وَالتَّأَمُّلِ، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ مَا يُحْكَى لَهُ مِنْ حِكَايَاتِ بِلَادِهِ الشَّعْبِيَّةِ وَفُكَاهَاتِهَا، وَحِكَمِ الأَمْثَالِ وَالأَغَانِي وَالْمُوسِيقَى، وَيَطِيرُ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي أَجْوَاءِ الخَيَالِ البَدِيعِ وَالرَّائِعِ لِلأَسَاطِيرِ الْمُمْتِعَة.

كَتَبَ أُولَى قَصَائِدِهِ وَهُوَ فِي الخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وَكَانَتِ الحِكَايَاتُ وَالأُغْنِيَاتُ الشَّعْبِيَّةُ زَادًا وَنَبْعًا اسْتَلْهَمَ مِنْهُمَا أَعْمَالَهُ المَلِيئَةَ بِالحِكْمَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالجَمَالِ، وَمُنْذُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ظَلَّ "بُوشْكِين" يُبَشِّرُ بِالْحُرِّيَّةِ، مُعَبِّرًا عَنْ نُزُوعِ الإِنْسَانِ إِلَيْهَا، وَالنِّضَالِ مِنْ أَجْلِهَا.

اعْتَبَرَتْ مَوْسُوعَةُ "أُكْسْفُورد البِرِيطَانِيَّةُ لأَدَبِ الأَطْفَالِ" بُوشْكِينَ رَائِدًا مِنْ رُوَّادِ أَدَبِ الطِّفْلِ فِي العَالَمِ، وَأَفْرَدَتْ لَهُ مَكَانًا خَاصًّا بَيْنَ كُتَّابِ الطِّفْلِ الكِبَارِ. عِنْدَمَا سَمِعَ "بُوشْكِين" وَقَرَأَ الحِكَايَاتِ الشَّعْبِيَّةَ الشَّهِيرَةَ فِي بِلَادِهِ وَجَدَ أَنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَحْكِيَهَا شِعْرًا، وَهَذِهِ حِكَايَةٌ مِنْ حِكَايَاتِهِ الشَّهِيرَةِ يَعْرِفُهَا كُلُّ الأَطْفَالِ الرُّوسِ وَيُطْلِقُونَ عَلَيْهَا حِكَايَةَ " الديك الذهبي" ، وَهِيَ الآنَ بَيْنَ أَيْدِي الطِّفْلِ الْعَرَبِيِّ بِعُنْوَانِهَا الأَصْلِيِّ: "الديك الذهبي" ، وَهِيَ حِكَايَةٌ وَارِدَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحِكَايَاتِ الشَّعْبِيَّةِ فِي الْعَدِيدِ مِنْ بُلْدَانِ الْعَالَمِ وَمَعْرُوفَةٌ فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ.

فِي مَكَانٍ مَـا، فِيمَـا وَرَاءَ الْبِحَـارِ وَالجِبَالِ، كَانَتْ هُنَاكَ مَمْلَكَةٌ رَائِعَـةٌ يَحْكُمُهَا قَيْصَرٌ اسْمُـهُ "دَادْوِن"، وَكَانَ هَذَا القَيْصَرُ شَابًّا شُجَاعًا يَحْمِي مَمْلَكَتَـهُ مِـنْ غَـزْوِ الأَعْدَاءِ، وَيُحَقِّقُ لِشَعْبِهِ النَّصْرَ بِإِقْدَامٍ وَقُوَّةٍ وَجَسَارَةٍ، وَيُلْحِقُ بِأَعْدَاءِ مَمْلَكَتِهِ الهَزَائِمَ النَّكْرَاءَ. وَمَـرَّتْ عَلَى هَذِهِ الحَالِ الأَيَّامُ، وَمَـعَ مُرُورِ السَّنَـوَاتِ كَبِـرَ القَيْصَرُ "دَادْوِن" وَأَصَـابَهُ عَجْزُ الشَّيْخُوخَةِ، وَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلَى النِّزَالِ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَرِيحَ مِنْ مَهَامِهِ الحَرْبِيَّةِ، وَيَعِيشَ مَعَ جِيرَانِهِ فِي المَمَالِكِ الأُخْرَى فِي هُدُوءٍ وَسَلامٍ.



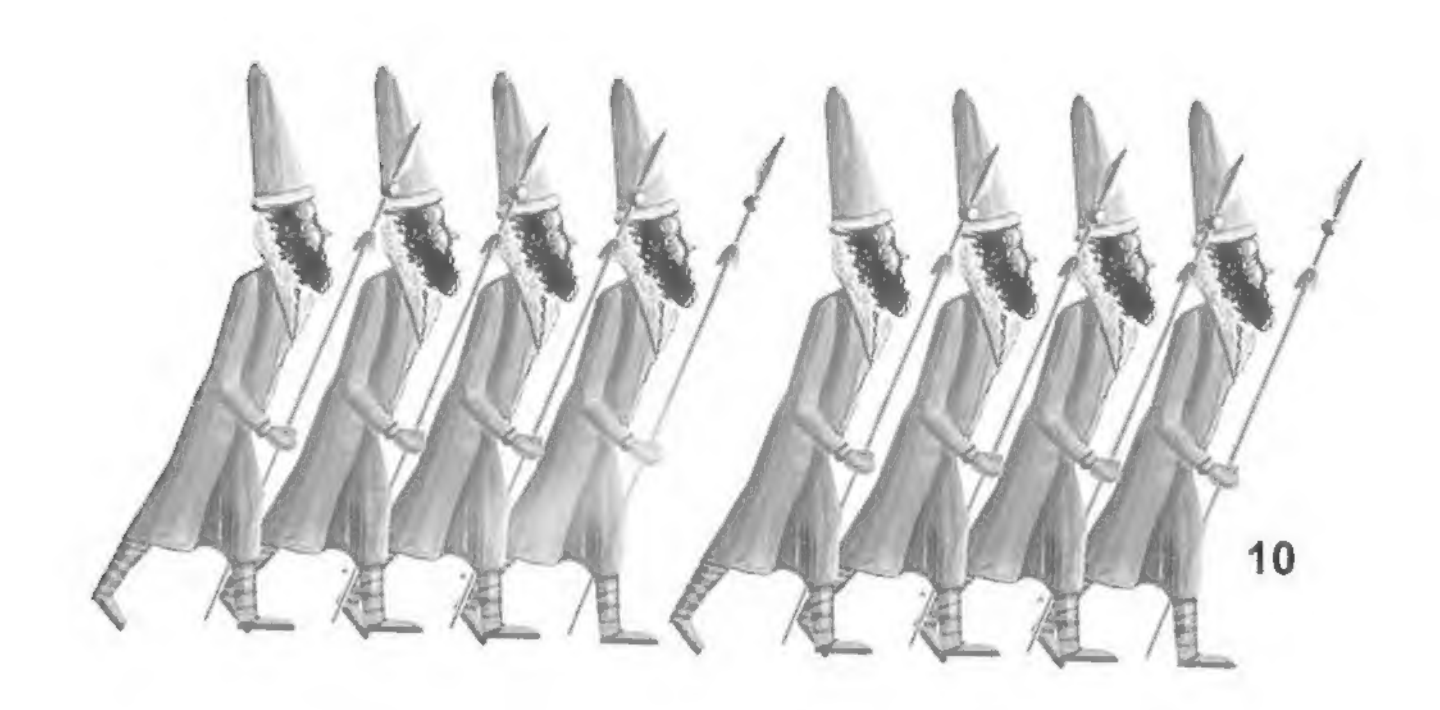
وَلَكِنْ بَدَأَ أَعْدَاؤُهُ يَطْمَعُونَ فِي مَمْلَكَتِهِ وَأَخَذُوا يُرْهِقُونَهُ بِالغَزَوَاتِ المُتَتَالِيَةِ، وَيُلْحِقُونَ بِهِ الأَذَى، وَيُوَجِّهُونَ ضَرَبَاتٍ مُوجِعَةً لِكُلِّ حُدُودِ مَمْلَكَتِهِ، وَأَصْبَحَ القَيْصَرُ العَجُوزُ يَتَلَقَّى الهَزَائِمَ وَاحِدَةً بَعْدَ الأُخْرَى، وَأَصْبَحَ عَلَيْهِ الآنَ - لِكَيْ يَحْمِيَ مَمْلَكَتَهُ وَيَصُدَّ الاعْتِدَاءَاتِ وَالغَزَوَاتِ عَنْهَا - أَنْ يُجَهِّزَ جُيُوشًا قَوِيَّةً وَفِيرَةَ العَدَدِ، وَأَنْ يَقُومَ بِشَنِّ هَجَمَاتٍ تُلْحِقُ الأَذَى بِالأَعْدَاءِ، وَبِالفِعْلِ لَمْ يَغْفُلْ قَادَةُ جُيُوشِهِ وَلَوْ لِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ،





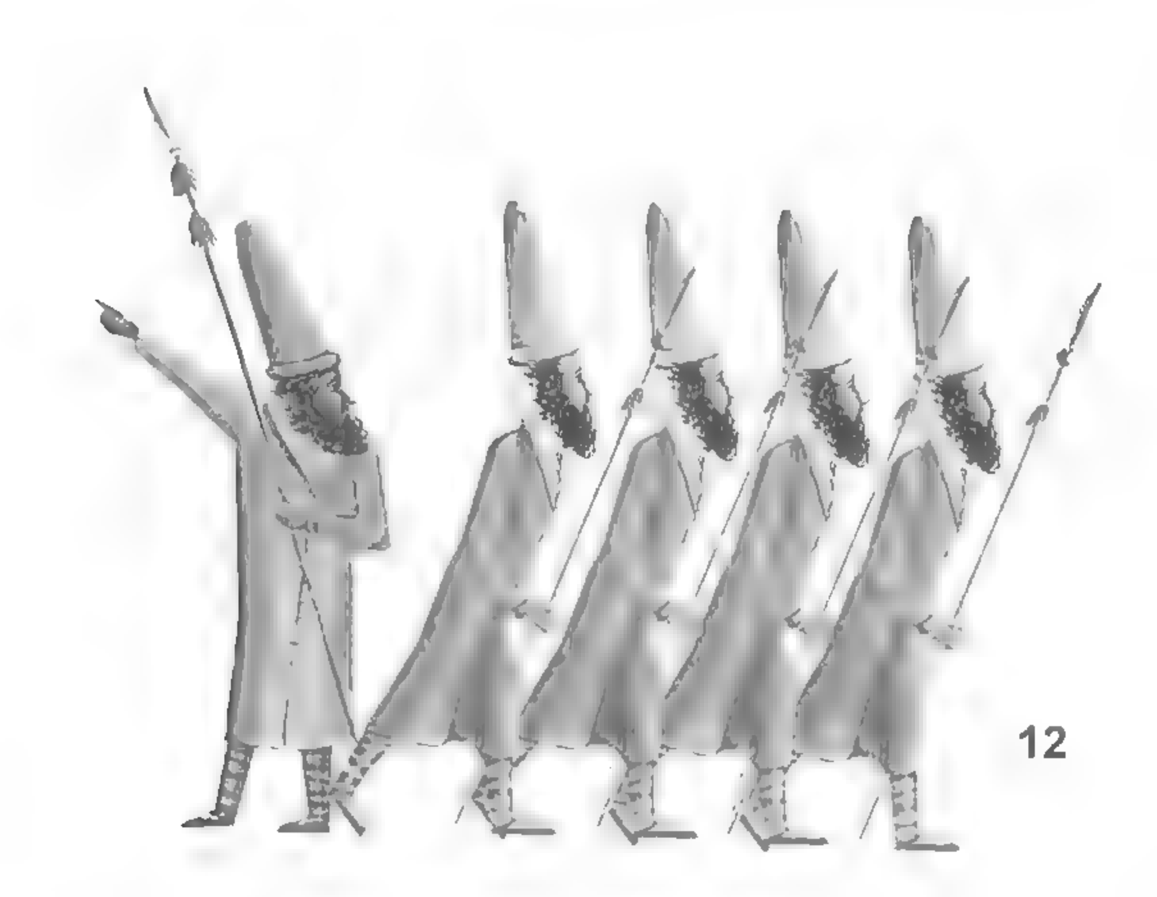
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْجَحُوا فِي صَدِّ غَزَوَاتِ الأَعْدَاءِ المُتَتَالِيَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الصُّمُودَ أَمَامَ هَجَمَاتِهِمْ، فَإِذَا مَا وَجَّهَتْ جُيُوشُ القَيْصَرِ "دَادُون" بَصَرَهَا نَاحِيَةَ الجَنُوبِ وَظَلَّتْ مُتَرَبِّصَةً فِي انْتِظَارِ العَدُوِّ، تَجِدُ قُوَّةً عَسْكَرِيَّةً مِنْ قُوَّاتِ العَدُوِّ تَتَسَلَّلُ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ، فَإِذَا مَا تَوَجَّهُوا إِلَى الشَّرْقِ لِحِمَايَتِهِ، يَهْجُمُ عَلَيْهِمُ المُعْتَدُونَ الدُّخَلاءُ مِنَ البَحْرِ وَيَضْرِبُونَ بِكُلِّ قُوَّةٍ وَشَرَاسَةٍ وَحِقْدٍ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنِ اسْتِمَاتَةِ جَيْشِ القَيْصَرِ "دَادُون" فِي الدِّفَاعِ، فَإِنَّ المُعْتَدِينَ ظَلُّوا يَتَقَدَّمُونَ بِثَبَاتٍ فِي اتِّجَاهِ أَرْضِ المَمْلَكَةِ.



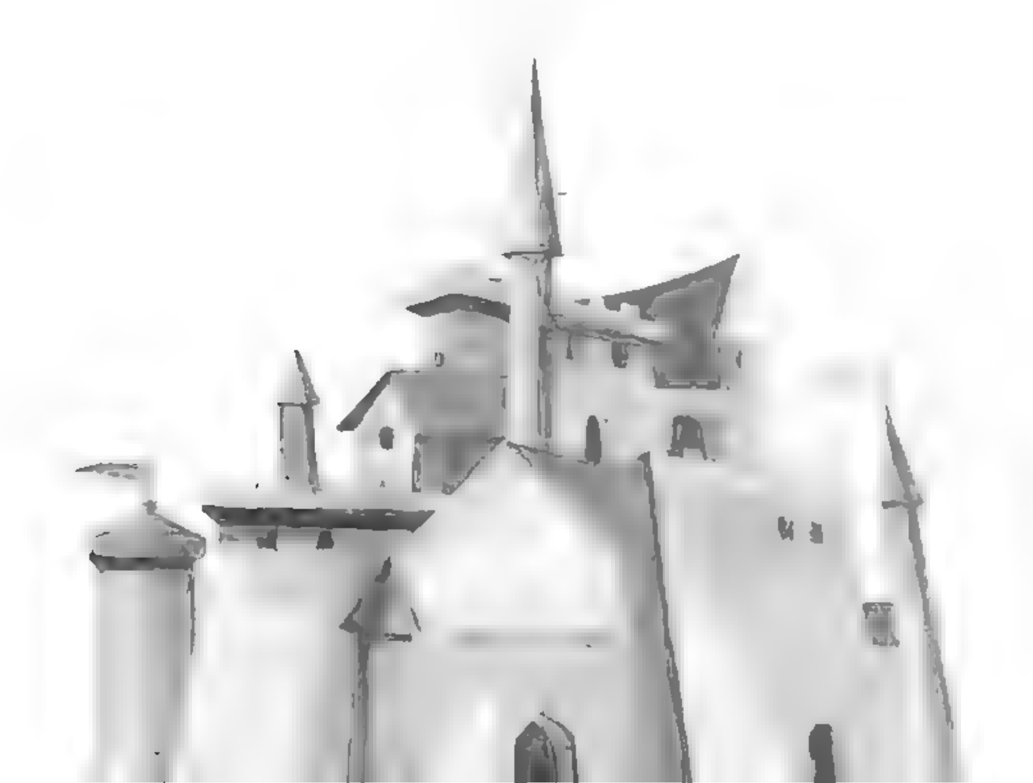


وَهُنَا بَكَى القَيْصَرُ "دَادُون"، وَنَسِيَ طَعْمَ النَّوْمِ، وَلَمْ تَعُدِ الْحَيَاةُ مُمْكِنَةً فِي هَذَا القَلَقِ وَالْهَلَعِ وَالاضْطِرَابِ.. فَمَا كَانَ مِنْهُ إلا أَنْ يُعْلِنَ فِي أَنْحَاءِ الْبِلادِ أَنَّهُ يَنْشُدُ مُسَاعَدَةَ مَنْ يُعِينُهُ عَلَى رَدِّ الأَعْدَاءِ عَنِ البِلادِ. وَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ الْمُسَاعَدَةِ إِلَى الجَمِيعِ.. الْحُكَمَاءِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَالسَّحَرَةِ وَحَتَّى الْمُشَعْوِذِينَ. وَأَخَذَ القَيْصَرُ دَادُونُ يَسِيرُ فِي أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ، وَخَلْفَهُ يَسِيرُ رُسُلُهُ وَخَدَمُهُ وَهُمْ مُنْحَنُو الرُّءُوس يُعْلِنُونَ دَعْوَتَهُ وَيُكَرِّرُونَ طَلَبَ الْمُسَاعَدَةِ لإِنْقَاذِ الْمَمْلَكَةِ.





وَبَعْدَ أَيَّام قَلِيلَة حَضَرَ إلى الْقَصْر سَاحِرٌ، وَعِنْدَمَا مَثُلَ بيْنَ يَدَي القَيْصَر، انْحَنَى أَمَامَهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ كِيسٍ كَانَ مَعَهُ دِيكًا ذَهَبِيًّا صَغِيرًا، وَقَالَ لَهُ: مَوْلَايَ. ضَعْ هَذَا الدِّيك الذَّهَبِيَّ فَوْقَ أَعْلَى بُرْجٍ فِي المَدِينَة، وَسَيَكُونُ دِيكِي الذَّهَبِيُّ هَذَا حَارِسَكَ الْمُخْلِص، وَسَتَكُون الأُمُورُ هَادِئَةً وَيَسُودُ السَّلامُ الْبِلادَ، سَيَظَلُّ الدِّيكُ جَالِسًا بِهُدُوءٍ وَهُوَ سَاكِنٌ تَمَامًا، وَلَكِنْ بِمُجَرَّد أَنْ يَلْمَحَ فِي جِهَةٍ مَا اسْتِعْدادًا حَرْبِيًّا، وَلَوْ خَفِيفًا سَيُوَجِّهُ ضِدَّك، أَوْ غَزْوَةً عَسْكَرِيَّةً، أَوْ أَيَّ أَخْطَارٍ أَوْ كَوَارِثَ أُخْرَى، عِنْدَئِذٍ، فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، سَوْفَ يَدُورُ دِيكِي الذَّهَبِيُّ حَوْلَ نَفْسِه، وَيَرْتَفِعُ عُرْفُهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الصِّيَاحِ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَيَظَلُّ كُلُّ جَسَدِه يَنْتَفِض، وَيَتَوَجَّهُ كُلِّيَّةً إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي سَوْفَ يَفِدُ مِنْهَا الْخَطَرُ، وَهُوَ لا يَكُفُّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا.





شَكَرَ الْقَيْصَرُ "دَادُونُ" السَّاحِرَ، وَأَمَرَ لَهُ بِمُكَافَأَةٍ جَبَلا مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ مُقَابِلَ هَذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي سَيَنْقِذُ الْمَمْلَكَةَ. ثُمَّ أَضَافَ الْقَيْصَرُ العَجُوزُ مُبْتَهِجًا وَهُوَ مَأْخُوذٌ تَمَامًا مِنَ الإِعْجَابِ: وَلَسَوْفَ أُحَقِّقُ لَكَ مُقَابِلَ ذَلِكَ الْفَضْلِ أَوَّلَ أُمْنِيَةٍ تَطْلُبُهَا مِنِّي كَمَا لَوْ كُنْتُ أُحَقِّقُهَا لِنَفْسِي.

وَهَكَذَا قَطَعَ الْقَيْصَرُ "دَادُون" عَلَى نَفْسِهِ عَهْدًا بِتَحْقِيقِ أَيِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ السَّاحِرُ.





وَهَكَذَا وَقَفَ الدِّيكُ الذَّهَبِيُّ فَوْقَ أَعْلَى بُرْجٍ فِي المَمْلَكَةِ، وَظَلَّ رَابِضًا يَحْرُسُ حُدُودَهَا، وَبِمُجَرَّدِ أَنْ يَرَى خَطَرًا مَا، وَكَمَا لَوْ كَانَ حَارِسًا مُخْلِصًا يَصْعُبُ إِيجَادُهُ فِي الأَحْلامِ فَهُوَ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، يَرْفَعُ عُرْفَهُ الذَّهَبِيَّ، وهُوَ يَهْتَزُّ، وَيَنْتَفِضُ، ثُمَّ يَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهِ، وَيَتَحَوَّلُ إلى تِلْكَ الْجِهَةِ الَّتِي سَوْفَ يَأْتِي مِنْهَا الْخَطَرُ، ثُمَّ لا يَكُفُّ عَنِ الصِّيَاحِ بِصَيْحَتِهِ الشَّهِيرَةِ.. "كو.. كو.. كو.. أَيُّهَا الْقَيْصَرُ يَا مَنْ تَنَامُ فِي سَلامٍ!".

وَمَضَتْ سَنَوَاتٌ، حَمَى فِيهَا الدِّيكُ الذَّهَبِيُّ المَمْلَكَةَ مِنْ أَعْدَائِهَا، وَشَيْئًا فَشَيْئًا عَادَ الأَعْدَاءُ إِلَى خَوْفِهِمْ مِنْ مَمْلَكَةِ الْقَيْصَرِ "دَادُون"، وَلَمْ يَعُدْ بِإِمْكَانِهِمْ غَزْوُهَا بَعْدَ أَنْ نَجَحَتْ جُيُوشُهُ فِي صَدِّ هَجَمَاتِ الأَعْدَاءِ الْوَاحِدَةِ تِلْوَ الأُخْرَى، وَاسْتَطَاعَتْ حِمَايَةَ حُدُودِ المَمْلَكَةِ، وَكَبَّدَتِ الْعَدُوَّ الْخَسَائِرَ.





وَمَرَّ عَامٌ هَادِئٌ، وَالدِّيكُ الذَّهَبِيُّ طِوَالَ الْوَقْتِ يَجْلِسُ سَاكِنًا، وَفَجْأَةً.. أَيْقَظَتِ الْقَيْصَرَ "دَادُون" ضَجَّةٌ مُخِيفَةٌ وَصَوْتٌ عَالٍ.. "مَوْلايَ.. أَنْتَ مَلِيكُنَا.. أَنْتَ أَبُو الشَّعْبِ.. فَيَا أَيُّهَا الْقَيْصَرُ.. احْمِنَا مِنَ الكَارِثَةِ".

هَكَذَا كَانَ قَائِدُ جَيْشِهِ يَصِيحُ بِلا تَوَقُّفٍ.

تَسَاءَلَ الْقَيْصَرُ "دَادُون" وَهُوَ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ:

يَا إِلَهِي.. مَا هَذَا؟ وَمَنْ هُنَاكَ يَصِيحُ هَكَذَا؟ وَأَيَّةُ كَارِثَةٍ تِلْكَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا؟

قَالَ قَائِدُ الْجَيْشِ: الدِّيكُ الذَّهَبِيُّ يَصِيحُ مِنْ جَدِيدٍ، وَيَنْشُرُ الرُّعْبَ وَالضَّجَّةَ الْهَائِلَةَ فِي كُلِّ الْمَدِينَةِ.. هَرَعَ الْقَيْصَرُ "دَادُون" إِلَى النَّافِذَةِ، وَنَظَرَ إِلَى أَعْلَى بُرْجٍ فِي الْمَدِينَةِ، حَيْثُ يَقِفُ الدِّيكُ، فَرَأَى الدِّيكَ يَنْتَفِضُ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ كُلِّيَّةً إِلَى الشَّرْقِ، وَبِلا تَرَيُّثٍ أَوْ تَوَانٍ، صَاحَ الْقَيْصَرُ: أَسْرِعُوا.. إِلَى الْخُيُولِ.. إِلَى الْحَرْبِ.





وَجهَّزَ جَيْشًا كَبِيرًا قَوِيًّا لِمُوَاجَهَةِ الأَعْدَاءِ، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ ابْنَهُ الأَكْبَرَ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي اتِّجَاهِ الشَّرْقِ، فَهَدَأَ الدِّيكُ الذَّهَبِيُّ، وَخَفَتَتِ الضَّجَّةُ الَّتِي أَثَارَهَا فِي الْمَمْلَكَةِ، وَاسْتَطَاعَ الْقَيْصَرُ "دَادُون" أَخِيرًا أَنْ يَنَامَ، وَمَرَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ، وَلَمْ تَأْتِ مِنَ الشَّرْقِ أَيُّ أَخْبَارٍ. هَلْ دَارَتْ هُنَاكَ أَمْ لَمْ تَدُرْ مَعْرَكَةٌ؟!

لا يَدْرِي الْقَيْصَرُ "دَادُون" وَلَمْ تَصِلْهُ عَنْ ذَلِكَ أَيُّ تَقَارِيرَ أَوْ رَسَائِل.

وَصَاحَ الدِّيكُ الذَّهَبِيُّ مِنْ جَدِيدٍ، فَجَهَّزَ الْقَيْصَرُ جَيْشًا ثَانِيًا قَوِيًّا كَبِيرًا وَضَعَ على رَأْسِهِ ابْنَهُ الأَصْغَرَ. فَهَدَأَ الدِّيكُ الذَّهَبِيُّ، وَمِنْ جَدِيدٍ لَمْ تَصِلْ أَيُّ أَخْبَارٍ إِلَى الْقَيْصَرِ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا حَدَثَ لِجَيْشِهِ الثَّانِي. وَمَرَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ أُخَرَ، أَمْضَاهَا النَّاسُ فِي رُعْبٍ، وَالدِّيكُ الذَّهَبِيُّ لا يَكُفُّ عَنِ الصِّيَاحِ، فَجَهَّزَ الْقَيْصَرُ جَيْشًا ثَالِثًا قَوِيًّا كَبِيرًا، قَادَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى الشَّرْقِ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ.. هَلْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ طَائِلٌ؟!

أَخَذَ الْجَيْشُ يَتَقَدَّمُ لَيْلًا وَنَهَارًا، يُقَابِلُ مَا لا يُطَاقُ مِنَ الْمَشَاقِّ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدِ الْقَيْصَرُ آثَارَ مَعْرَكَةٍ، أَوْ كَتَائِبَ عَسْكَرِيَّةٍ، أَوْ حَتَّى شَوَاهِدَ مَقَابِرَ تِذْكَارِيَّةٍ.





وَظَلَّ يُفَكِّرُ طِوَالَ الوَقْتِ: مَا هَذَا اللُّغْزُ؟! مَا هَذِهِ الأُعْجُوبَةُ؟!
وَهَا هُوَ يَوْمٌ آخَرُ يَمُرُّ، والْقَيْصَرُ يقودُ قُوَّاتِهِ بلا تَوَقُّفٍ فِي الْجِبَالِ، وَأَثْنَاءَ مُرُورِهِ بِسَهْلٍ بَيْنَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ رَأَى الْقَيْصَرُ خَيْمَةً حَرِيرِيَّةً، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا الْجَمِيعُ، وَوَقَفُوا وَاجِمِينَ أَمَامَ الْخَيْمَةِ الْبَدِيعَةِ، بَيْنَمَا يَتَأَمَّلُونَ ـ وَهُمْ مَصْدُومُونَ ـ جَيْشَهُمُ الْمَهْزُومَ مَرْصُوصًا حَوْلَهَا.
جَابَ الْقَيْصَرُ "دَادُون" الْمَكَانَ. وَسُرْعَانَ مَا تَجَمَّدَ أَمَامَ الْمَشْهَدِ الْمُفْزِعِ.. كَانَ ابْنَاهُ يَتَمَدَّدَانِ بلا حِرَاكٍ .. بلا دُرُوعٍ وَهُمَا مُسَجَّيَانِ. وَقَدْ أَغْمَدَ كُلٌّ مِنْهُمَا سَيْفَهُ فِي جَسَدِ الآخَرِ. بَيْنَمَا يَهِيمُ جَوَادُهُمَا فِي الْمَرْجِ الْمُحِيطِ بِالْخَيْمَةِ، يَدْهَسَانِ بِأَقْدَامِهِمَا النَّجِيلَ الْمُخَضَّبَ بِالدِّمَاءِ.. عَوَى الْقَيْصَرُ "دَادُون": آهٍ يَا أَبْنَائِي.. يَا لَمُصِيبَتِي!.. وَوَقَعَ فِي الشَّرَكِ صَقْرَا الْمَمْلَكَةِ كِلاهُمَا. يَا لَمُصِيبَتِي!.. إِنَّ فِي هَذَا نِهَايَتِي..
كَانَ الْجَيْشُ كُلُّهُ يُرَدِّدُ صُرَاخَ الْقَيْصَرِ "دَادُون" وَيَئِنُّونَ جَمِيعًا أَنِينًا مُوجِعًا، فَالْجُرْحُ عَمِيقٌ، وَالقَلْبُ زَلْزَلَهُ الأَلَمُ.





فَجْأَةً، انْفَتَحَتِ الْخَيْمَةُ الحَرِيرِيَّةُ، وَخَرَجَتْ مِنْهَا فَتَاةٌ بَهِيَّةٌ يَشِعُّ مِنْهَا الضِّيَاءُ، وَكَأَنَّهَا شَمْسٌ بَزَغَتْ فَجْأَةً فِي السَّمَاءِ، أَوْ كَأَنَّهَا انْبِثَاقُ الْفَجْرِ نَفْسِهِ، كَانَتْ مَلِكَةً فَاتِنَةً سَاحِرَةً. حَيَّتِ الْفَتَاةُ الْقَيْصَرَ الْعَجُوزَ بِهُدُوءٍ، وَكَمَا لَوْ كَانَ الْقَيْصَرُ طَائِرًا لَيْلًا لَمْ يَرَ الشَّمْسَ قَطُّ وَقَفَ أَمَامَهَا مَبْهُورًا، وَظَلَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِلا انْقِطَاعٍ، وَنَسِيَ مَوْتَ ابْنَيْهِ بِحُضُورِهَا.





أَمَّا المَلِكَةُ الْبَهِيَّةُ فَابْتَسَمَتْ لَهُ وَهِيَ تَنْحَنِي، وَأَخَذَتْهُ مِنْ يَدِهِ، وَقَادَتْهُ إِلَى دَاخِلِ الْخَيْمَةِ الْحَرِيرِيَّةِ، وَأَجْلَسَتْهُ عَلَى كُرْسِيٍّ فَخِيمٍ، وَقَامَتْ بِضِيَافَتِهِ .. أَطْعَمَتْهُ مُخْتَلَفَ الْمَأْكُولاتِ، وَجَعَلَتْهُ يَضْطَجِعُ لِيَسْتَرِيحَ عَلَى سَرِيرٍ مِنَ الْمَخْمَلِ وَالدِّيبَاجِ، ثُمَّ ـ وَبِدُونِ اسْتِفَاضَةٍ عَلَى الإِطْلاقِ ـ أَصْبَحَ الْقَيْصَرُ طَوْعَ بَنَانِهَا، وَخَاضِعًا لَهَا لَا يُنَاقِشُهَا فِي أَمْرٍ، مَسْلُوبَ الْعَقْلِ أَمَامَهَا، مَسْحُورًا، مَفْتُونًا، مُعْجَبًا وَمُبْتَهِجًا بِهَا، بِبَسَاطَةٍ أَصْبَحَ "دَاذُون" مَلِكًا لَهَا.





فِي النِّهَايَةِ قَرَّرَ "دَاذُون" أَنْ يَعُودَ إِلَى قَصْرِهِ، وَصَحِبَ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ فَتَاتَهُ الْمَلِكَةَ السَّاحِرَةَ وَجَيْشَهُ الْقَوِيَّ، وَيَبْدُو أَنَّ أَخْبَارَ عَوْدَتِهِ قَدْ سَبَقَتْهُ..

فَبِمُجَرَّدِ أَنْ لاحَتْ لَهُ الْمَدِينَةُ، وَبِالْقُرْبِ مِنْ بَوَّابَتِهَا، قَابَلَهُ صَوْتُ شَعْبِهِ الصَّاخِبِ، ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ جَمِيعُهُمْ يُهَرْوِلُونَ خَلْفَ مَوْكِبِهِ، وَبِالْقُرْبِ مِنْ عَجَلَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ الَّتِي يَجْلِسُ فِيهَا مَعَ مَلِيكَتِهِ، وَجَمِيعُهُمْ يُرِيدُونَ إِلْقَاءَ التَّحِيَّةِ عَلَيْهِ. وَفَجْأَةً لَمَحَ بَيْنَ الْحُشُودِ عَجُوزًا يَرْتَدِي قُبَّعَةً وَقَوْرَةً بَيْضَاءَ، وَكَأَنَّهَا بَجعَةٌ تَجْلِسُ عَلَى رَأْسِهِ، وَعَرَفَ فِيهِ صَدِيقَهُ الْقَدِيمَ.. لَقَدْ كَانَ السَّاحِرَ نَفْسَهُ.





حَيَّاهُ الْقَيْصَرُ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الأَبُ. مَاذَا تَطْلُبُ؟ اقْتَرِبْ مِنِّي أَكْثَر.. مَاذَا تَتَمَنَّى عَلَيَّ الآنَ؟

وَظَلَّ الْقَيْصَرُ يُلِحُّ عَلَيْهِ حَتَّى نَطَقَ السَّاحِرُ أَخِيرًا: مَوْلايَ.. هَلْ تَتَذَكَّرُ أَنَّكَ قَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ تُحَقِّقَ لِي رَغْبَتِي الأُولَى كَمَا لَوْ أَنَّهَا رَغْبَتُك، وَذَلِكَ مُقَابِلَ خِدْمَتِي لَكَ.. إِذًا أَعْطِنِي تِلْكَ الْفَتَاةَ الَّتِي مَعَكَ، أَعْطِنِي الْمَلِكَةَ السَّاحِرَةَ الْبَهِيَّةَ.

بَلَغَتْ دَهْشَةُ الْقَيْصَرِ الْعَجُوزِ أَقْصَى حَدٍّ، فَصَاحَ بِهِ قَائِلًا:

مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَطْلُبَ ذَلِكَ الطَّلَبَ؟! إِمَّا أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ قَدْ سَيْطَرَ عَلَيْكَ، أَوْ أَنْ تَكُونَ قَدْ جُنِنْتَ تَمَامًا.. مَا الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى عَقْلِكَ؟ وَلِمَاذَا تَتَمَسَّكُ بِرَغْبَتِكَ تِلْكَ بِكُلِّ هَذَا الْعِنَادِ؟ لَقَدْ وَعَدْتُكَ بِالْفِعْلِ، وَلَكِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدٌّ. وَمِنْ أَجْلِ مَاذَا تُرِيدُ هَذِهِ الْفَتَاةَ تَحْدِيدًا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّهَا مِلْكِي، وَتَعْلَمُ جَيِّدًا مَنْ أَنَا. ثُمَّ أَضَافَ بِصَوْتٍ كَأَنَّهُ الْبُرْكَانُ: أَنَا الْقَيْصَرُ "دَادُون"، اطْلُبْ مِنِّي إِذًا خَزَانَةَ مَالٍ، اطْلُبْ مِنِّي رُتْبَةً حَرْبِيَّةً، اطْلُبْ مِنِّي جَوَادًا مِنَ الإِسْطَبْلاتِ الْمَلَكِيَّةِ، أَوْ حَتَّى مَزْرَعَةً مِنْ حُقُولِي الْمَلَكِيَّةِ.

أَجَابَهُ السَّاحِرُ بِإِصْرَارٍ: أَنَا لا أُرِيدُ أَيَّ شَيْءٍ.. اهْدِنِي تِلْكَ الْفَتَاةَ.. الْمَلِكَةَ السَّاحِرَةَ الْبَهِيَّةَ.

نَفَثَ الْقَيْصَرُ غَيْظًا وَقَالَ: لا .. لَنْ أَمْنَحَكَ أَيَّ شَيْءٍ.. أَنْتَ الَّذِي جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَعَذَّبْتَهَا، اذْهَبِ الآنَ مَا دُمْتَ حَيًّا، يَا حُرَّاسُ، ابْعِدُوا هَذَا الْمَشْعُوذَ الْعَجُوزَ مِنْ هُنَا.

لَكِنَّ السَّاحِرَ الْعَجُوزَ أَرَادَ أَنْ يُجَادِلَهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ الْقَيْصَرُ فُرْصَةً، بَلْ أَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَأَمْسَكَهُ، وَضَرَبَهُ بِصَوْلَجَانِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَهُنَا وَقَعَ السَّاحِرُ مُنْبَطِحًا عَلَى وَجْهِهِ، وَخَرَجَتْ عَلَى الْفَوْرِ رُوحُهُ.



أَخَذَتْ كُلُّ الْمَمْلَكَةِ تَرْتَعِدُ خَوْفًا، أَمَّا الْفَتَاةُ.. الْمَلِكَةُ السَّاحِرَةُ الْبَهِيَّةُ فَقَدْ أَخَذَتْ تُقَهْقِهُ، وَلا تَخَافُ، وَلا تَرْهَبُ مِنْ وُقُوعِ الْجُرْمِ، وَارْتِكَابِ ذَلِكَ الذَّنْبِ، وَبِرَغْمِ أَنَّ الْقَيْصَرَ الْعَجُوزَ كَانَ مُنْزَعِجًا جِدًّا، وَمَأْخُوذًا بِقُوَّةٍ مِنْ مَوْتِ السَّاحِرِ، فَإِنَّهُ رَدَّ عَلَى ضَحِكَاتِهَا بِابْتِسَامَةٍ رَقِيقَةٍ لَطِيفَةٍ.

وَهَكَذَا وَصَلَ إِلَى بَوَّابَةِ قَصْرِهِ، وَفَجْأَةً، دَوَّتْ خَشْخَشَةٌ خَفِيفَةٌ، وَأَمَامَ أَعْيُنِ كُلِّ الْحُشُودِ الَّتِي تَقِفُ خَلْفَ مَوْكِبِ الْقَيْصَرِ طَارَ الدِّيكُ الذَّهَبِيُّ الصَّغِيرُ مُرَفْرِفًا مُبْتَعِدًا عَنْ بُرْجِهِ الْعَالِي، وَتَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً إِلَى عَجَلَةِ مَوْكِبِ الْقَيْصَرِ، ثُمَّ هَبَطَ عَلَى رَأْسِهِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ حَتَّى ارْتَفَعَ عُرْفُهُ الذَّهَبِيُّ، وَنَقَرَ رَأْسَ الْقَيْصَرِ، ثُمَّ حَلَّقَ فِي الْأَعَالِي، وَفِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ وَقَعَ الْقَيْصَرُ مِنْ عَجَلَتِهِ، وَتَأَوَّهَ مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ مَاتَ، وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ اخْتَفَتِ الْفَتَاةُ.. الْمَلِكَةُ السَّاحِرَةُ الْبَهِيَّةُ كَأَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ مُطْلَقًا، أَوْ أَنَّهَا مَحْضُ خَيَالٍ.





فِي الْحَقِيقَةِ، الْحِكَايَةُ كُلُّهَا مِنْ تَلْفِيقِ الْخَيَالِ، أَيْ إِنَّهَا خَيَالٌ فِي خَيَالٍ، وَلَكِنْ بِهَا عِبَرٌ وَدُرُوسٌ وَإِشَارَاتٌ لِلْفِتْيَةِ وَالْفَتَيَاتِ.



التصحيح اللغوي : صفـــاء فتحـــي

الإشـــراف الفني : حســـن كامـــل